

التناص والإبداع، فن المعارضة نموذجاً الأخطل يعارض زهير بن أبي سلمى

«إذا قيل إن المعاني المبتدعة سبق إليها ولم يبق معنى مبتدع عورض ذلك بما ذكرته
والصحيح أن باب الابتداع للمعاني مفتوح إلى يوم القيامة.»
أبو العباس ثعلب (815-904)

مقدمة

- قصيدة للأخطل (ت 710 م) يعارض فيها زهير بن أبي سلمى (ت 609 م)

يعتبر الأخطل (ت 710 م) من رواد فن المديح في العصر الأموي، وبزخر ديوانه بمدائح رائعة نظمها تعظيماً للخلفاء والأمراء الأمويين وقد حظيت هذه المدائح بقبولهم فأغدقوا العطاء على شاعر تغلب وأشادوا به، وذهب الأمر بالخليفة عبد الملك بن مروان إلى التصريح بأن الأخطل شاعر بني أمية.

ولقد مدح الأخطل أبا الخليفة عبد الملك بن مروان وأحد ولاته على العراق بخمس قصائد، من بينها قصيدة استهلها بهذا البيت [من الطويل]:

1- صَحَا الْقَلْبُ عَنْ أَرَوَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَعَادَ لَهُ مِنْ حُبِّ أَرَوَى أَخَابِلُهُ

وكتب محقق وناشر ديوان الأخطل، الأب أنطون صالحاني في الهامش (d) في الصفحة 58 معلقاً على هذا البيت: «أخذ الأخطل هذا المطلع من مطلع زهير: [من الطويل]:

1- صَحَا الْقَلْبُ عَنْ سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَعُزِّيَ أْفِرَاسُ الصِّبَا وَرَوَّاحِلُهُ»

وفي البيت الخامس من هذه القصيدة يقول الأخطل:

5- وَأَدَّتْ إِلَيْنَا عَهْدَهَا أُمُّ مَعْمَرٍ فَقَدَ جَعَلَتْنَا كَالْخَلِيطِ نَزَائِلُهُ

وكتعليق على هذا البيت يكتب صالحاني (في الهامش (c)، في الصفحة 59):

«قال زهير "كان الشبابُ كالخليطِ نزايله" وفي شرح ديوانه: "وقوله كالخليط جعل الشباب حين ولّى وفارق بمنزلة الخليط المفارق والخليط الصاحب المخالط والمزايلة المفارقة."»

ويكتفي صالحاني بهذين التعليقين حاصراً العلاقة بين قصيدتي الشعارين في هذين البيتين. لكن رجوع القارئ إلى قصيدة زهير بن أبي سلمى يجعله يكتشف أن الأخطل لم يأخذ هذين الشطرين من قصيدة زهير فقط، بل استمد منها أكثر من ذلك. الغريب في الأمر¹ أن صالحاني لم يشير إلى باقي الاقتباسات بالرغم من ارتفاع عددها. هل

¹ - نستغرب هنا لأن صالحاني انتبه مثلاً إلى أن القصيدة التي يستهلها الأخطل بقوله:
بَاتَتْ سَعَادٌ فِي الْعَيْنَيْنِ مَلْمُوءٌ مِنْ حُبِّهَا وَصَحِيحُ الْجِسْمِ مَخْبُوءٌ

هذا راجع إلى سهو منه أو لعدم انتباهه لأهمية وكثرة اقتباسات الأخطل من قصيدة زهير؟ من الصعب علينا أن نجيب عن هذا السؤال. على كل حال لم يشر صالحاني إلى أن الأخطل يعارض زهير بن أبي سلمى في هذه القصيدة، كما فعلت ذلك كارين صادر في أول هامش وضعته لهذه القصيدة في الصفحة 223 من ديوان الأخطل الذي نشرته بدار صادر سنة 1999².

إذن لا يتعلق الأمر هنا باقتباسين محصورين، بل باقتباسات عدّة يستمدّها الأخطل في إطار معارضته لقصيدة من قصائد أحد أكبر الشعراء العرب: زهير بن أبي سلمى. فما المعارضة؟

- المعارضة: تعريف أحمد الشايب

في سياق التعريف بالمناقضة ينتقل أحمد الشايب بالكلام إلى موضوع المعارضة فيقول: «هذه الصورة الاصطلاحية للمناقضة تذكرنا بصورة أخرى شبيهة بها هي (المعارضة) من عارضه في السير إذا سار حِياله وحاذاه، وعارضه بمثل ما صنع أي أتى بمثل ما أتى به، وفعل مثل ما فعل، وهذه المسألة عَرَّوض هذه أي نظيرها، ومعارض الكلام ومعارضه كلام يشبه بعضه بعضا والمعارضة المباراة، هذه خلاصة المعنى اللغوي [لسان العرب] وهو حسي أولا في السير والعمل، ومعنوي في القول ونحوه. والمعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول قصيدة من بحر الأولى وقافيتها، وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصا على ما يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه فيها دون أن يعرض لهجائه أو سيّء، ودون أن يكون فخره علانية؛ فيأتي بمعان أو صور يازاء الأولى تبلغها في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل، أو جمال التمثيل، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة، [...]، فالمعارض يقف من صاحبه موقف المقلد المعجّب، أو المعترف ببراعته على كل حال، ومُنَاط المعارضة هو الجانب الفني وحسن الأداء [...]. ولا يلزم أن يكون المتعارضان متعاصرين بخلاف المناقضة في ذلك، وإن اتفقا في وحدة البحر والقافية ثم الموضوع غالبا، وفي أنهما فنا المنافسة والمباراة بوجه عام³.»

معارضة لقصيدة كعب بن زهير الشهيرة ويذكر ذلك في الهامش. أنظر الهامش (a) في الصفحة 12 من "شعر الأخطل".

² - "ديوان الأخطل"، تقديم وشرح كارين صادر، دار صادر، بيروت، 1999. لا نجد أية إشارة إلى علاقة هذه القصيدة بقصيدة زهير بن أبي سلمى في ديوان الأخطل الذي سهر علي نشره فخر الدين قباوة.

³ - أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998، (الطبعة الثالثة)، ص 6-7.

تعريف أحمد الشايب جد مهم ومفيد أوضح فيه ما يربط القصيدتين في هذا الفن من وحدة في الموضوع والبحر والقافية، و أشار إلى إعجاب الشاعر المعارض بالقصيدة النموذج وإلى حرصه على نظم قصيدة تضاهي النموذج أو تفوقه براعة وجمالاً، كما نبّه الباحث في تعريفه إلى مختلف مظاهر الفرق بين النقيضة والمعارضة ومن بينها أن تكون قصيدة الشاعر المعارض خالية من الهجاء والفخر الصريح ؛ إلا أنه لم يذكر بوضوح ظاهرة الاقتباس التي نجدتها في الفنين معا : النقائض والمعارضة. فعملية الشاعر المعارض يقتبس أكثر من معنى ومن مفردة من القصيدة التي يعارضها ونرى هنا أن أحمد الشايب لم يعرض في تعريفه لهذا الجانب.

والسؤال الذي يخالج أذهاننا بعد هذا التعريف وهذه الإضافة هو : هل يتنافى الإبداع مع التناص ؟

سأحاول الإجابة عن هذا السؤال من خلال دراسة بعض أوجه العلاقة بين قصيدة الأخطل وزهير.

- تقديم وحيز للقصيدتين

1- تتكون قصيدة زهير بن أبي سلمى من الأجزاء التالية

- النسيب (من البيت 1 إلى البيت 7)
- وصف الفرس ومشهد الصيد (من البيت 8 إلى البيت 29)
- فخر شخصي (من البيت 30 إلى البيت 33)
- المديح (من البيت 34 إلى البيت 45)

2- تتكون قصيدة الأخطل من الأجزاء التالية

- النسيب (من البيت 1 إلى البيت 8)
- الرحيل، مع مقارنة الجمل بالحمار الوحشي (من البيت 9 إلى البيت 31)
- المديح (من البيت 32 إلى البيت 50)

- ملاحظات

- معارضة الأخطل أطول من نموذجها.
- القصيدتان في المديح، وتربطهما وحدة البحر ووحدة القافية.
- تتضمن قصيدة زهير أربعة أبيات في الفخر، و لا يتطرق الأخطل لموضوع الفخر، كما يمكننا أن نلاحظ ذلك ؛ لكنه في نفس الوقت يضيف في نهاية قصيدته أربعة أبيات

يشتكي فيها من سوء وضعيته. لدينا إذا حذف وإضافة ينتج عنهما ما يسميه ج. جونيت بالاستبدال [substitution]⁴. وهذا يعني أن هناك اختلافا بين قصيدة الأخطل ونموذجها.

- المعارضة والنقد الأدبي الحديث

يدخل فن المعارضة في ما أسماه ج. جونيت بالتعلق النصي أو التجاوز النصي (hypertextualité)⁵ ويقصد الباحث الفرنسي بهذا المصطلح العلاقة التي تربط بين النص (ب) كنص لاحق (hypertexte) والنص (أ) كنص سابق (hypotexte) وهي علاقة تقليد أو محاكاة أو تحويل.

ففي معارضتنا هذه تشكل قصيدة الأخطل النص اللاحق (hypertexte) وتمثل قصيدة زهير النص السابق (hypotexte).

لنر الآن ما هي الاقتباسات التي قام بها الأخطل في معارضته هذه وما هي أنواعها.

إقتباسات الأخطل من قصيدة زهير نوعان :

يمثل النوع الأول مفردات تشكل قوافي عدد غير قليل من الأبيات. ولا بأس من الإشارة هنا إلى أنّ التفعيلة الثامنة والأخيرة في كلتا القصيدتين تأتي محذوفة الخامس الساكن (مفاعِلن عوض مفاعيلن) فهي إذن مقبوضة. وبالطبع جل الكلمات المقتبسة جاءت على وزن "مفاعِلن". وسأعود فيما بعد للتعقيب على أهمية هذا النوع من الإقتباس.

أما النوع الثاني من الاقتباسات فيتكون من عبارات ومعان ومفردات ترد داخل شطري البيت. وهذه جداول جمعت فيها ما اقتبسه الأخطل من قواف وغيرها من قصيدة زهير.

- التعلق النصي

أ- في القوافي

- في النسيب

البيت	قصيدة زهير : النص السابق (hypotexte)	البيت	قصيدة الأخطل: النص اللاحق (hypertexte)
6	فأجاوله	4	فأجاوله
3	(كالخليط) نزايله	5	(كالخليط) نزايله

⁴ - جيرار جونيت، Palimpsestes "التطريسات"، سوي، باريس، 1982، الصفحة 384.

⁵ - جيرار جونيت، Palimpsestes "التطريسات"، سوي، باريس، 1982، الصفحة 13.

- في الرحيل

البيت	قصيدة زهير: النص السابق (hypotexte)	البيت	قصيدة الأختل: النص اللاحق (hypertexte)
17	نواصله	9	أواصله
11	و كاهله	10	كاهله
27	و فائله	12	فائله
24	وابله	18	وابله
16	وحلائله	21	وحلائله
10	أباجله	24	أباجله
15	وجحافله	27	وجحافله
10	أباجله	31	أباجله
1	ورواحله	32	ورواحله

- في المديح

البيت	قصيدة زهير: النص السابق (hypotexte)	البيت	قصيدة الأختل : النص اللاحق (hypertexte)
38	نائله	33	ونائله
3	نزايله	40	ما أزييله
33	مقاتله	41	مقاتله
25	هو حامله	43	هو حامله
22	شاغله	45	شاغله
45	زلازله	47	وزلازله

ب- في غير القوافي

- في النسيب

البيت	قصيدة زهير : النص السابق (hypotexte)	البيت	قصيدة الأخطل : النص اللاحق (hypertexte)
1	صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله	1	صحا القلب عن أروى وأقصر باطله
5	عفا [...] منه	3	عفا [...] منها
4	فأصبحن ما يعرفن إلا خليفتي وإلا سواد الرأس والشيب شامله	7	رأت أن ريعان الشباب قد انجلا وأن مشيبي حاضرتني عواجله
9	صبحتُ بممسود...	8	فأصبحت كوفيا

- في الرحيل

البيت	قصيدة زهير : النص السابق (hypotexte)	البيت	قصيدة الأخطل النص : اللاحق (hypertexte)
14	بقفرة	11	أخي قفرة
15	ثلاث كأقواس السراء	12	طوى بطنه
15	وجحافله	14	جحافله
16	وقد خرّم الطراد عنه جحشانه فلم يبق إلا نفسه وحلائله	21	إذا اعتزّها من بطن غيب تكشّفت بروعاته جحشانه وحلائله
15	ثلاث كأقواس السراء	22	طوى طي الملاء بطونها
9	صحت بممسود النواشر	25	كأن اللواتي هن مكتنفاته قوى أندري أحكم الصنع فاتله
15	وناشط / قد اخضرت من لس الغمير جحافله	27	حتى تمدّرت / بطين الزبي أرساغه وجحافله
28	مخضبة أرساغه وحوامله	27	حتى تمدّرت / بطين الزبي أرساغه وجحافله
10	أمين شظاه لم يخرّق صفاقه بمنقبة ولم تقطّع أباجله	31	ورسغ أمين لم تخنه أباجله

البيت	قصيدة الأخطل : النص اللاحق (hypertexte)	البيت	قصيدة زهير : النص السابق (hypotexte)
45	إليكم من الأغوار	33	ومن أهله بالغور زالت زلازله
34	ما تغبني / إذا جنته نعمأؤه وفواضله	34	يداه غمامة / على معتفيه ما تغب نوافله
42	أخو الحرب	35	ومن مثل حصن في الحروب
42	أبحت حصون الأعجمين	37	ومن مثل حصن في الحروب
34	إذا غاب عنا غاب عنا فراتنا وأن شهد أجدى فيضه وجداوله	39	فياض
42	فإنك حصن	40	حصن (الممدوح)
43	جزاء امرئ أفضى إلى الله قلبه	42	أبى الضيم والنعمان يحرق نابه عليه أفضى والسيوف معاقله
42	فما كان مثله لكريهة ولا مستقل بالذي هو حامله	43	ومن مثل حصن في الحروب ومثله لإنكار ضيم أو لأمر يحاوله
39	أغرّ عليه التاج... إذا انفرج الأبواب عنه رأيته كصدر اليماني أخلصته صياقله	45 46	تراه إذا ما جنته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

- تعليق

- يقتبس الأخطل من قصيدة زهير مفردات وعبارات ومعاني عدة في أجزاء قصيدته الثلاثة.

- وجود هذه الاقتباسات يثبت العلاقة بين القصيدتين.

- اقتباس المفردات التي تكون قافية الأبيات يكتسي أهمية قصوى وذلك نظرا للدور الذي تلعبه القافية في القصيدة وكذلك لدورها في نظم البيت وصياغة معانيه عند الشعراء. ولقد أشار إلى ذلك الباحث جمال الدين بن الشيخ في كتابه "الشعرية العربية" في الباب الذي خصه للقافية⁶. وذكر الباحث في هذا الباب ما أورده ابن طباطبا العلوي (ت 366 هـ/934م) في كتابه "عيار الشعر" عندما تعرض للكلام عن النظم،

⁶- أنظر :

Jamal Eddine Bencheikh, *Poétique arabe, essai sur les voies d'une création*, Anthropos, Paris, 1975, p. 167, 168 et 169.

حيث قال : «فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مَخَصَ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرًا، وأعدَّ له ما يُلِيسُهُ إِيَّاه من الألفاظ التي تُطَابِقُهُ، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي سَلَسَ القَوُّ عليه، فإذا اتَّفَقَ له بيتٌ يُشَاكِلُ المعنى الذي يَرُومُهُ أثَبَّتَهُ وأَعْمَلَ فِكْرَهُ فِي شُغْلِ القَوَافِي بما تقتضيه من المعاني على غير تنسيقٍ للشعر وترتيبٍ لفنون القول فيه [...]»⁷.

الجملة التي يختم بها ابن طباطبا وصفه لعملية النظم، والتي يقول فيها إن الشاعر يُعْمَل "فكره في شُغْلِ القوافي بما تقتضيه من المعاني" تبين بوضوح أهمية الدور الذي تلعبه القافية في هذه العملية.

وهذا يعني أن اقتباس الأخطل لقواف من قصيدة زهير سيكون له أثر بالغ على معاني قصيدته فورا، كل كلمة من الكلمات التي تكون القوافي المستعارة معنى أو موتيفا أو موضوعا لابد للأخطل أن يتعامل معه وأن يتعرض له في قصيدته بشكل أو بآخر. يجب أن نضع نصب أعيننا أن اقتباس القوافي ليس مجرد اقتباس لمفردات منعزلة ؛ فوضعية هذه الكلمات الخاصة ووظيفتها وكذلك دورها في النظم تجعلها مرتبطة ارتباطا وثيقا بمعان وأفكار أو موتيفات لابد أن تحضر بحضورها.

- يستعمل الأخطل كلمة "فأجاوله" وتعني الفضاءات الموجودة حول مكان ما في سياق حديثه عن الأماكن التي سكنتها حبيبته، والتي زارها بحثا عنها كما فعل ذلك زهير بن أبي سلمى.

- في بعض الحالات يصاحب الأخطل الاقتباس بتغيير للسياق الذي وردت فيه تلك المفردات وتلك العبارات في القصيدة التي اتخذها نموذجا له ؛ فمثلا :

- يستعمل كلا الشاعرين عبارة "كالخليط نزا يله" في النسب [الأخطل : البيت الخامس، زهير : البيت الثالث]، لكن زهير يعبر بها عن فوات الشباب وعن حتمية هذا الفوات ؛ فشبه مرور زمن شبابه بتلك الضرورة التي تجبر الجيران والأحباب على الترحال ومغادرة المكان الذي كانوا يعيشون فيه بجانب من ألفتهم وأحبوهم.

أما الأخطل فيوظف هذه العبارة لإثبات فراق حبيبته له، إذ يقول إنّ رحيل أمّ معمر أجبره هو كذلك على مفارقة المنزل الذي تنزل به، فشبه فراقه لذلك المنزل بفراق الخليط لأحبائهم.

⁷- أبو الحسين محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، كتاب عيار الشعر، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1985، ص 7-8.

ولا يختلف قول ابن الأثير عن قول ابن طباطبا في هذا الموضوع، لما تطرّق لقضية النظم في باب ما يسمّيه بالإرصاد في الصفحة 296 من كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر". يقول ابن الأثير في (النوع الثامن والعشرون في الإرصاد) : «وحقيقته أن يبني الشاعر البيت من شعره على قافية قد أرصدها له أي أعدّها في نفسه فإذا أنشد صدر البيت عرف ما يأتي به في قافيته وذلك محمود الصنعة فإنّ خير الكلام ما دلّ بعضه على بعض [...]»
"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، طبع بالمطبعة البهية، القاهرة، في صفر 1312هـ / 1894 م.

- يستعمل الأخطل الكلمة الثانية في هذه العبارة (الفعل "نزايله") في المتكلم وفي صيغة النفي في البيت 40 للتعبير عن تعلقه بممدوحه "وإنني/بأسباب حبل منكم ما أزياله".

- يقتبس الأخطل في البيت التاسع من قصيدته الفعل "واصل يواصل". هذا الفعل وارد في البيت السابع عشر من قصيدة زهير في صيغة الجمع "نواصله" ويعارض في الشطر الثاني لهذا البيت الفعل "نختله"⁸ (بمعنى نخدعه)، والفعل واصل مستعمل هنا بمعنى جاهر وكاشف وجاء الفعلان في بيت يتطرق فيه الشاعر للطريقة التي سيستعملها الصيادون للتمكن من الصيد والبيت عبارة عن سؤال (لا جواب له) يطرحه أحد المشاركين في الصيد :

[17- وقال أميري : ما ترى رأي ما ترى أنختله عن نفسه أم نواصله ؟]

ينقل الأخطل هذا الفعل من سياق الصيد ويستعمله مع ضمير المتكلم في سرده لرحيله إلى ممدوحه. ينتج عن تغيير السياق هذا أو يرافقه تغيير في المعنى؛ إذ يعني هذا الفعل هنا متابعة السفر دون توقف:

[9- فَسَوْفَ تُؤَدِّينَا مِنَ اللَّهِ ذِمَّةً وَإِلْحَاقُ تَهْجِيرٍ بَلِيلٍ أُوَاصِلُهُ]

- كذلك الأمر بالنسبة للقافية "ورواحله" استعملها زهير في سياق كلامه عن عزف نفسه عن الحب وعن انشغالها به عندما يقول في عجز البيت الأول "وعرّي أفراس الصبا ورواحله"، ونرى الأخطل يوظف هذه الكلمة في سرده لرحيله إلى بشر بن مروان في البيت 32 :

[32- وَمُسْتَقِيلٍ لَفَحَ الْحَرُورِ بِحَاجَةٍ إِلَيْكُمْ أبا مَرَوَانَ شُدَّتْ رَوَاحِلُهُ]

- عدد كبير من المفردات (سبع كلمات بالضبط، أربع كلمات منها أسماء لأعضاء جسمي الحيوانين) التي تم استعمالها في قصيدة زهير لوصف الفرس وحمار الوحش يوظفها الأخطل في قصة حمار الوحش لوصف هذا الحيوان ؛ (أنظر الجدول أعلاه).
فالكلمات "أباجله" (في البيت 10) و "كاهله" (البيت 11) و "وابله" (البيت 24) و تدخل في وصف الفرس عند زهير بينما نجده يستعمل الكلمات "جحافله" (البيت 15) و "حلائله" (البيت 16) و "فائله" (البيت 27) في سياق كلامه عن حمار الوحش. يدمج الأخطل هذه المفردات في وصف حمار الوحش في قصيدته مما يضيف على هذا الحيوان لديه صفة الهجين.

- **نائله** : يوظف كلا الشاعرين هذه الكلمة في سياق كلامهما عن سخاء الممدوح.

- **مقاتله** : استعمل زهير هذه المفردة (في البيت 33) بمعنى مجازي يعبر فيه عن حلمه ويقول إنه قد أعرض عن هجاء من هجاه ولو أن "مقاتله" أي نقط الضعف فيه أو

⁸- يستعمل زهير الفعل ختل في بيتين آخرين هما البيت 12 والبيت 36.

مثالبه ومساوئه بادية واضحة. ويستعمل الأخطل هذه الكلمة في البيت 41 لينعت ممدوحه بالشجاعة "[...] ما تنفك تُرمى مقاتله".

- **هو حامله** : يقول زهير في قصيدته إن الغلام يَحْمِلُ الفرس على العدو سواء أحب الفرس ذلك أم كرهه. في قصيدة الأخطل هذه الجملة مستعملة في مدحه لبشر بن مروان حين يزعم أنّ لا أحد يستطيع أن يتحمّل ما يتحمّله من الأعباء.

- **شاغله** : يصف زهير تصرف الغلام الذي لم يكن يصغي لوصّاته لاشتغاله بالفرس. أما الأخطل فوظف هذه المفردة في الجزء الذي كرسه لمديح بشر فيقول إن طمع (ورق) الدنيا لا يشغل الممدوح عن الحق.

- **زلزله** : ترد هذه الكلمة في البيت الأخير من قصيدة زهير وتتعلق بممدوحه وبمساندة الأحاليف له إذ يقول إن تدخلها يقى حصن بن حذيفة الشدائد. أما في قصيدة الأخطل فتأتي هذه المفردة في سياق آخر إذ يقحمها الشاعر في شكواه من الدهر الذي تغير وجاء بالأهوال وأودى النعيم.

- التعلق النصي في غير القوافي

أشرت فيما سبق إلى أنّ زهيراً يكرّس الجزء الثاني من قصيدته لوصف فرس ومشهد للصيد وأن الأخطل يتطرق لموضوع الرحيل في الجزء الثاني من قصيدته. ويسجل الأخطل هذا الاختلاف باستعماله فعلا من نفس الجذر يقابل به الفعل الذي أورده زهير في البيت الذي يفتتح به وصفه للفرس إذ يقول :

9- **صَبَحْتُ بِمَسْوَدِ النَّوَاشِرِ سَابِحٍ مُمَرِّ أَسِيلِ الْخَدِّ نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ**

ويقابل الأخطل هذا البيت بالبيت الانتقالي بين الجزأين الأول والثاني من قصيدته التي يقول فيها :

8- **فَأَصْبَحْتُ كَوْفِيًّا وَأَصْبَحَ أَهْلُهَا مَخَارِمُ مَرِدٍ دَوْنَهُمْ وَأُبَارِلُهُ**

في هذا النوع من التناص ثمة بعض الحالات التي يستمد فيها الأخطل الفكرة من القصيدة النموذج ويعبر عنها بمفردات تختلف عن تلك التي استعملها زهير.

مثلا موتيف الشيب والشباب :

يقول زهير في البيت 4 :

فأصبحن ما يعرفن إلاّ خليقتي وإلاّ سواد الرأس والشيب شامله

ويقول الأخطل في البيت 7 :

رأت ريعان الشباب قد انجلا وأن مشيبي حاضرتني عواجله

وكذلك الأمر بالنسبة للهِزَال الذي أصاب الأتان :

يقول زهير في البيت 15 :

ثلاث كأقواس السَّراءِ وناشطٌ قد اخضرَّ من لَسِّ الغَمِيرِ جَحَافِلُهُ

ويقول الأخطل في وصفه لحمار الوحش في البيت 12 :

طوى بطنه طُولُ السِّيَافِ وَالْحَقَّتْ مِعَاهُ بَصْلُبٍ قَدْ تَقَلَّقَ فَائِلُهُ

ويصف هُزال الأتان في البيت 22 فيقول :

عَيُورٌ طَوَى طَيِّ الْمَلَأِ بَطُونَهَا وَلَوَّحَهَا تَشْحَاجُهُ وَصَلَاصِلُهُ

حمار الوحش وحيد مع أنه عند زهير الذي يقول في البيت 16 :

وَقَدْ حَرَّمَ الطَّرَادُ عَنْهُ جِحَاشَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسُهُ وَحَلَائِلُهُ

ويقول الأخطل مقتديا بالقصيدة النموذج :

إِذَا إِغْتَرَّهَا مِنْ بَطْنِ غَيْبٍ تَكَشَّفَتْ لِرَوَاعِيهِ جُحَشَاتُهُ وَحَلَائِلُهُ

الفعل حَرَّمَ يعني فرَّق و الفعل تَكَشَّفَتْ يعني تفرَّقت.

فبالإضافة إلى القافية "وحلائله" يستمد الأخطل فكرة انعزال (وهو عنده انعزال مؤقت)

حمار الوحش الذي بقي في قصيدته كذلك وحيدا مع أنه في قصيدة زهير.

وكذلك الأمر بالنسبة **للقوة الجسدية للحيوانات** ؛ إذ نرى زهير بن أبي سلمى يقول

إنَّ الفرس "ممسود النواشر" وإنه "مُمر" (أي مفتول شديد الفتل). ويشبه الأخطل الأتن

بالحبال :

9- صَبَحْتُ بِمَمْسُودِ النَّوَاشِرِ سَابِحٍ مُمَرٍّ أَسِيلِ الخَدِّ نَهْدٍ مَرَائِلُهُ (زهير)

25- كَانَتْ اللِّوَاتِي هُنَّ مُكْتَنِفَاتُهُ قُوَى أَنْدَرِيٍّ أَحْكَمَ الصَّنْعِ فَائِلُهُ (الأخطل)

ويصف زهير حمار الوحش وهو يرعى فيقول :

15- ثَلَاثٌ كَأَقْوَاسِ السَّراءِ وَمِسْحَلٌ قَدْ إِخْضَرَ مِنْ لَسِّ الغَمِيرِ جَحَافِلُهُ (زهير)

ثم يصف الفرس وقد اخضبت قوائمه من دم حمار الوحش فيقول :

28- فَرَحْنَا بِهِ يَنْضُو الجِيَادَ عَشِيَّةً مُخْضَبَةً أَرْسَاعُهُ وَخَوَامِلُهُ (زهير)

فاستحسن الأخطل هذه الأوصاف واقتبسها فأنشده قائلا :

27- فَظَلَّ يَسُوفُ النَّهْيَ حَتَّى تَمَدَّرَتْ بِطِينِ الرُّبَى أَرْسَاعُهُ وَجَحَافِلُهُ (الأخطل)

ونلاحظ هنا من خلال المفردات المستعملة أنَّ الأخطل جمع بين وصفي زهير للفرس

وحمار الوحش معا في بيته هذا. فالطين تعوض عنده العشب والدم.

وفي نفس الإطار (**القوة الجسدية**) ينعت زهير الفرس بصلاية قوائمه وشدتها فيقول :

10- أَمِينٌ شَطَاهُ لَمْ يُخَرِّقْ صِيفَاهُ بِمِنْقَبَةٍ وَلَمْ تُقَطَّعْ أَبَاجِلُهُ (زهير)

ويستمد منه الأخطل هذا المعنى فيقول في حمار الوحش :

31- عَلَى أَنَّهُ يَكْفِيهِ صُمُّ نُسُورُهُ وَرُسْعُ أَمِينٍ لَمْ تَخْنُهُ أَبَاجِلُهُ (الأخطل)

ومن بين المعاني التي اقتبسها الأخطل من مديح زهير ووظفها في مديحه :

فكرة عطاء الممدوح غير المنقطع، وذلك باستعماله عبارة "ما تغبني... فواضله" :

34- جَزَاءٌ وَشُكْرًا لِمَرِيٍّ مَا تُغْبِنِي إِذَا جِئْتُهُ نَعْمَاؤُهُ وَقَوَاضِيهِ (الأخطل)

وهذه العبارة موجودة في نفس السياق عند زهير إذ يقول :

34- وَأَبْيَضَ قِيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُغِبُّ نَوَافِلُهُ (زهير)

ونلاحظ كذلك تقاربا بين العبارات التي استعملها الشاعران **لنعت شجاعة**

ممدوحيهما. يقول شاعر تغلب مادحا بشر بن مروان :

35- أَخُو الْحَرْبِ مَا يَنْفَكُ يُدْعَى لِعُصْبَةٍ حَرُورِيَّةٍ أَوْ أَعْجَمِيَّةٍ يُفَاتِلُهُ

ويقول زهير :

42- وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْخُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ صَيِّمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ

ويحمد الأخطل **كرم** بشر بهذه الاستعارة :

39- إِذَا غَابَ عَنَّا غَابَ عَنَّا فِرَاتِنَا وَإِنْ شَهِدَ أَجْدَى قَيْضُهُ وَجَدَّأُولُهُ

ونعت الأخطل لعطاء ممدوحه الجزل بفيض الفرات مستمدّ ممّا جاء في مدح زهير لكرم

حصن بن حذيفة إذ حمد هذه الخصلة فيه جاعلا من يديه سحابة ممطرة ونعت

ممدوحه في نفس البيت بصيغة المبالغة "قِيَاضُ" :

34- وَأَبْيَضَ قِيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُغِبُّ نَوَافِلُهُ

كما يقتبس الأخطل الفعل "أَفْضَى" من قصيدة زهير لكنه لا يستعمله بنفس المعنى،

لأنه يُدرجه في سياق مختلف. فزهير يستعمل هذه الكلمة في البيت 43 للتعبير عن

شجاعة ممدوحه والفعل أفضى هنا له معنى "صار في الفضاء" وهو يعبر عن استعداد

حصن للحرب ولمواجهة عمرو بن هند، ويذكرنا هذا البيت بالخبر الذي رواه حماد حين

ذكر ما قاله حصن لعمرو : "فإنه ليس لي حصن إلاّ السيوف والرماح، وأنا لك بالفضاء."

[أنظر الملحق].

أمّا الأخطل فيستعمل هذا الفعل في البيت 42 للتعبير عن مدى تقوى ممدوحه إذ

يقول :

42- جَزَاءَ إِمْرِيٍّ أَفْضَى إِلَى اللَّهِ قَلْبُهُ بِنَوْبَتِهِ فَاَنْحَلَّ عَنْهُ أَثَاؤُهُ

تغيير السياق هنا ينتج عنه تغيير في المعنى.

ومن ضمن الخصال الحميدة التي مدحها الأخطل في بشر بن مروان، قدرته على

تحمل الأعباء والحسم في الأمور، ونراه يعبر عنهما في هذا البيت قائلا :

33- فما كان فيهم مثله لكريهة ولا مُسْتَقِيلٌ بِالَّذِي هُوَ حَامِلُهُ

ولاشك أنّ كلام الأخطل مستمد مما جاء به زهير في مدحه لما قال :

42- وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الْخُرُوبِ وَمِثْلُهُ لِإِنْكَارِ صَيِّمٍ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ

وأخيراً يصف الأخطل **وجه ممدوحه** وبياض بشرته في بيتين يقول فيهما :

45- أَعْرُ عَلَى التَّاجِ لَا مُتَعَبِسٌ وَلَا وَرَقُ الدُّنْيَا عَنِ الْحَقِّ شَاغِلُهُ

46- إِذَا انْفَرَجَ الْأَبْوَابُ عَنْهُ رَأَيْتُهُ كَصَدْرِ الْيَمَانِيِّ أَخْلَصَتْهُ صَيَافِلُهُ

ووصفه هذا يذكرنا بما قاله زهير واصفا رحابة صدر حصن بن حذيفة وكرمه :
39- تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

لقد وظف الأخطل القسط الأوفر من الاقتباسات في الجزأين الثاني والثالث من قصيدته يعني في الرحيل والمديح. وما يشد انتباه القارئ أن الفرس ومشهد الصيد في قصيدة زهير والرحيل في قصيدة الأخطل يشكلان الجزء الأطول في كلتا القصيدتين. لنحاول الآن أن نفهم هذه الظاهرة.

الفرس وحمار الوحش

- الفرس

كما أشرت قبل قليل، الجزء الثاني الذي خصه زهير لوصف الفرس ومشهد الصيد يحظى بالقسط الأوفر من الأبيات التي تكوّن قصيدته. فلا بد أن يكون لهذا الكم معنى سأحاول فيما يلي إبرازه.

يجعل زهير من هذا الفرس فرسا نموذجيا له كل الصفات الحسنة وكل الخصال ؛ ويوظف الشاعر في وصفه حقلين دلاليين، يخص بأولهما قوة بنية الفرس وبثانيهما سرعته ونشاطه.

- الحقل الدلالي الخاص بالقوة

عناصر الحقل الدلالي الخاص بالقوة	البيت
ممسود النواشر/ممرّ/أسيل الخد/نهد المراكل	9
أمين شظاه/لم يخرّق صفاقه بمنقبة/لم تقطع أباجله	10
أكمل صنعه فتمّ/عزته يداه وكاهله	11
وملجمنا ما إن ينال قذاله	20
محبوك/ظماء مفاصله	21

- الحقل الدلالي الخاص بالسرعة

عناصر الحقل الدلالي الخاص بالسرعة والنشاط	البيت
سابع	9
فبتنا عراة عند رأس جوادنا / يزاولنا عن نفسه ونزاوله	18
فنضربه حتى اطمأنّ قذاله / ولم يطمئنّ قلبه وخصائله	19
[ما تنال] قدماه الأرض إلا أنامله	20

كشؤبوب غيث يحفّش الأكمّ وابله	24
وهو لاحق/سراع تواليه صياب أوائله	26
ينضو الجياد	28
بذي ميعة لا موضع الرمح مسلم/لبطاء ولا ما خلف ذلك خاذله	29

- شخص الفرس في قصيدة زهير

من بين الخصال التي نعت بها زهير الفرس في قصيدته هذه، قدرته الكبيرة على السرعة في الجري ؛ ونقرأ في تعليق أبي عمرو الشيباني عن البيت الذي جاء فيه هذا الوصف (ص 121) : «وقال الأصمعي : لم يصب في نعته، لأنه لا يُخَمَد أن يكون سريع المشي»، ونقرأ في الهامش رقم واحد في نفس الصفحة : «قال الأصمعي : لم يصب في نعته، لأنّ وصفه بسرعة المشي، ولا توصف العتاق بذلك».

هل يمكننا أن نتصور أن زهيراً كان يجهل حقا ما يعنيه عليه الأصمعي هنا ؟ أعتقد أن لوصف الفرس ومشهد الصيد مغزى آخر يبعد عن حقيقة ممارسة هذا النشاط في الواقع، فعلينا أن نبحث عنه، آخذين بعين الاعتبار غرض هذه القصيدة الأساسي والظروف التي دفعت بالشاعر إلى نظمها، كما يجب علينا أن نتساءل عن الهدف الذي كان زهير يصبو إليه عند إدراجه لوصف الفرس ومشهد الصيد في هذا المديح. بإمكاننا استغلال كمال هذا الفرس في تفسير وجوده كشخص في هذه القصيدة وذلك على مستويات مختلفة :

- وجود الفرس بهذه الأوصاف يمكن اعتباره بمثابة ردّ على الملك اللخمي الذي حاول أن يرشّو الممدوح بمنحه خيلاً، فكأن الشاعر يقول لعمرو بن هند انظر ما لدينا من أفراس، فحسن بن حذيفة ليس بحاجة إلى خيلك.

- ويمكننا كذلك أن نرى في وصف الفرس ومشهد الصيد عملية انشطار (une mise en abyme). وانطلاقاً من هذه الفرضية نستطيع القول بأن محتوى هذا الجزء من القصيدة يعكس قصة الممدوح مع عمرو بن هند، ويلخصها. وبالتالي تبرز لنا علاقة جديدة بين الجزء الثاني من القصيدة والجزء الأخير، تتجلى في التوازي بين شخص الفرس وشخص الممدوح، وبين مشهد الصيد ومشهد الحرب التي استعد لها حصن بن حذيفة كما تخبرنا بذلك القصيدة و ما ورد في الخبر التقديمي لها.

- حمار الوحش

في البيت الحادي عشر يشيّه الأخطل مطيته بحمار الوحش، وينتقل من الكلام عنها إلى وصف هذا الحيوان و سرد قصته (من البيت 11 إلى البيت 31)، ولا بأس من الإشارة هنا إلى أن عددا كبيرا من النقاد يعتبرون انتقال الشعراء من وصف المطية إلى رواية قصة حمار الوحش أو قصة الثور الوحشي استطرادا يستعرض فيه الشاعر

مهاراته، كما رأى عدد آخر منهم أنّ قصة الثور الوحشي توحى بما يخالج قلب الشاعر ونفسيته أو بما تعرفه القبائل من محن تنتج عن الحروب التي تودي بها. (التفسير الأول لوهب رومية في كتابه الرحلة في القصيدة الجاهلية⁹ والتفسير الثاني لأنور عليان أبو سويلم في كتابه الإبل في الشعر الجاهلي¹⁰ .
في رأيي تكون قصة حمار الوحش انشطارا يعكس ويلخص قصة الشاعر ويلمح إلى نهايتها قبل أوانها.

نشر هنا إلى أن قصة حمار الوحش في قصيدة زهير تختلف عن قصته في قصيدة الأخطل. فعند زهير يصاب الحمار بجروح ويتمكن منه الصيادون ؛ أما عند الأخطل، وبعد رحلة دامت ثلاث ليال يصل حمار الوحش إلى المكان المنشود، ونراه ينعم بالماء والعشب هو وأتته :

26- ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ صَبَحَنَ رِيَّةً وَخُضْرًا مِّنَ الْوَادِي رِوَاءَ أَسَافِلُهُ

27- وَظَلَّ يَسُوفُ النَّهْيَ حَتَّى تَمَدَّرَتْ بِطِينِ الرُّبَى أَرْسَاعُهُ وَخَافِلُهُ

28- يُغَنِّيهِ بِالْفَيْضِ الْبَعُوضُ كَأَنَّهَا أَغَانِيٌّ عُرْسٍ صَنْجُهُ وَجَلَاجِلُهُ

كُلُّ رَحِيلِ حِمَارِ الْوَحْشِ بِالنَّجَاحِ إِذْ تَمَكَّنَ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى الْمَاءِ، وَهَاهِي الْبَعُوضُ تَحْتَفِلُ بِهِ وَتَهْنِئُهُ بِهَذَا النَّجَاحِ.

الشاعر هو كذلك يقوم برحيل، وهدف رحيله ممدوحه بشر بن مروان. يقصد الشاعر الممدوح ليلبي هذا الأخير حاجته :

32- وَمُسْتَقْبِلٍ لَفَحِ الْخَرُورِ بِحَاجَةٍ إِلَيْكُمْ أبا مَرَوَانَ شُدَّتْ رَوَاحِلُهُ

33- إِلَيْكُمْ مِّنَ الْأَعْوَارِ حَتَّى يَزُرَّنَكُمْ بِمَدْحَةٍ مَّحْمُودٍ نَثَاءُ وَنَائِلُهُ

والملاحظ هنا أن الأخطل يعبر عن كرم ممدوحه مستعملا مفردات وتعابير لها علاقة بالماء. فبالإضافة إلى الكلمتين : نعماء وفواضل (البيت 34) :

جَزَاءً وَشُكْرًا لَامِرِيٍّ مَا تُغْنِيَنِي إِذَا جِئْتُهُ نَعْمَاؤُهُ وَفَوَاضِلُهُ

يقول الأخطل إن بشر بن مروان فرائئه وإنه ينتفع من فيضه وجداوله :

39- إِذَا غَابَ عَنَّا غَابَ عَنَّا فُرَاتُنَا وَإِنْ شَهِدَ أَجْدَى قَيْضُهُ وَجَدَاوِلُهُ

وما يجب أن نشير إليه هو أن الشعراء يستعملون عادة حقا معجميا (un champ lexical) مرتبطين بالماء للتعبير عن سخاء ممدوحهم.

9- وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، الطبعة الثالثة، ص 97-98 وص 241.
10- أنور عليان أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، ص 185.

إذن هناك تواز بين قصة حمار الوحش ورحيل الشاعر إلى ممدوحه، فعوض وصف الحرمان من جهة والمشاق التي واجهها الشاعر للوصول إلى الممدوح من جهة أخرى، نراه يشحن كل ذلك في قصة حمار الوحش التي تعكس هنا حاجته. والتوازي بين القصتين الذي أبرزناه ليس هو الوحيد، إذ ثمة تواز آخر يجمع بين شخصيتي الشاعر وحمار الوحش.

لقد حقق حمار الوحش مبتغاه إذ تمكن، بعد جهد جهيد، من الوصول بأثانه إلى الماء المنشود ؛ وصور ذلك الشاعر في البيت 28.

لكنه غير مرتاح في هذا المكان الذي رغب وجدّ في الوصول إليه ؛ فالحجارة الكثيرة الكبيرة منها والصغيرة والثابت في الأرض منها وغير الثابت توجع بواطن حوافره وتؤلمه مع أن حوافره صلبة وقوائمه أمينة ثابتة :

29- وَظَلَّ يَحْيِزُومِ يَغْلُ نُسُورَهُ وَيَوَجِعُهُ صَوَانُهُ وَأَعَابِلُهُ

30- إِذَا مَسَّ أَطْرَافَ السَّنَايِكِ رَدَّهَا إِلَى صُلَيْهَا جَادِي حَصَاهُ وَجَائِلُهُ

31- عَلَى أَنَّهُ يَكْفِيهِ صُمُّ نُسُورُهُ وَرُسْعُ أَمِينٍ لَمْ تَخْنُهُ أَبَا جِلُّهُ

فعدم الارتياح هذا وقلق حمار الوحش يطابق عدم ارتياح وقلق الشاعر الذي يصرح في نهاية قصيدته أنه يعاني من قساوة الدهر وأهواله:

37- فَإِنْ يَكُ هَذَا الدَّهْرُ وَلَّى نَعِيمُهُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَصُهُ وَزَلَا زِلُّهُ

48- فَمَا أَنَا مِنْ حُبِّ الْحَيَاةِ بِهَارِبٍ إِلَى الْمَوْتِ إِنْ جَاشَتْ عَلَيَّ مَسَائِلُهُ

ويختم الأخطل قصيدته بطلب واضح يوجهه لممدوحه وهذا الطلب يتعلق بمكانته لدى الممدوح إذ يريد ألا تكون هذه المكانة كتلك التي يحظى بها عدو المروانيين السابق زفر بن الحرث الذي كان قد بايع عبد الله بن الزبير بن العوام وحارب الأمويين إلى جانبه :

49- فَلَا تَجْعَلَنِّي يَا ابْنَ مَرْوَانَ كَامِرِيٍّ غَلَّتْ فِي هَوَى آلِ الزُّبَيْرِ مَرَا جِلُّهُ

50- يُبَايِعُ بِالْكَفِّ الَّتِي قَدْ عَرَفْتَهَا وَفِي قَلْبِهِ نَامُوسُهُ وَعَوَائِلُهُ

ويمكن القول بأن هذا الطلب يتجاوز قضية مكانة الشاعر عند الممدوح، فزفر بن الحرث هذا كان زعيم القيسية، وقيس عيلان كانت تؤازر الزبيريين وتحارب المروانيين إلى جانبهم. ولقد عرض عبد الملك بن مروان الأمان على زفر وكان يرغب في مصالحته لوضع حد للفتنة. إلا أن الأخطل وقبيلته تغلب لم يكونوا راضين بهذه المصالحة لأسباب منها حماية الأمويين لهم ورغبتهم في حياة مطمئنة بالجزيرة، فحاولوا جاهدين تقويض

العلاقة بين عبد الملك ورئيس القيسية زفر. وها هو شوقي ضيف يروي لنا (في الصفحة 136 من كتابه ("التطور والتجديد في الشعر الأموي") حادثة تحمل نفس المغزى وتوضح مدى التضايق الذي كانت تشعر به قبيلة تغلب من التقارب بين القيسية والمروانيين. يقول شوقي ضيف :

«أما الحادثة الثانية فحادثة زُفر بن الحارث زعيم قيس في الجزيرة، فإن عبد الملك جذبته إليه، وأجلسه معه على سريرته تكريماً له، فغضبت تغلب، وثارَت ثائرة سفيرها (يعني الأخطل)، فدخل على عبد الملك مَغِيضاً مُحْتَقاً، وقال له : أَتُجْلِسُ هَذَا مَعَكَ عَلَى السَّرِيرِ وَهُوَ الْقَائِلُ بِالْأَمْسِ :

وقد يَنْبُتُ المَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَارَاتُ الثُّفُوسِ كَمَا هِيََا
فقبض عبد الملك رجله، ودفع بها في صدرِ زُفر، فانقلب عن السرير، ووقف يناشد عبد الملك العهد الذي أعطاه»¹¹.

هذه إذن هي الأسباب التي تفسر وجود الأبيات الأربعة الأخيرة في قصيدة الأخطل، وتفسر قلقه.

فالأخطل يدافع عن نفسه وعن قبيلته ويحتج على سياسة المروانيين تجاه القيسية، إذ كان الحكم آنذاك يرغب في مصالحة هذه القبيلة لوضع حدٍّ للحرب الأهلية التي كانت قيس تخوضها ضدَّ المروانيين إلى جانب آل الزبير الذين كانوا ينازعونهم الحكم والخلافة.

كانت هذه المصالحة تشكل تهديدا كبيرا بالنسبة لتغلب كقبيلة مخالفة ومساندة للمروانيين لأنَّ هذه المصالحة كانت ستحرمها من الامتيازات التي تحظى بها عند العائلة الحاكمة كقبيلة حليفة ؛ كما كان مبدأ هذه المصالحة يشكل تهديدا كبيرا على كيان تغلب ووجودها بالجزيرة.

وليست هذه أول مرة يحتج فيها الأخطل ويشتكى من وضعه ووضع قبيلته (وإن لم يذكر القبيلة بطريقة صريحة)، إذ يردد الكلام عن قلقه وتضايقه (مع اختلاف في التعابير) في قصيدتين أخريين مدح فيهما بشر بن مروان. نكتفي هنا بذكر إحداهما :

القصيدة 20، ص 120-124 من الديوان : [من الطويل]

18- وَنَفْسِي تُمَنِّينِي الْعِرَاقَ وَأَهْلَهُ وَيَشِرُّ هَوَاهَا مِنْهُمْ وَحَمِيمُهَا

19- إِذَا بَلَغْتَ بِشَرَ ابْنِ مَرْوَانَ نَاقَتِي سَرَّتْ خَوْفَهَا نَفْسِي وَنَامَتْ هُمُومُهَا

20- إِمامٌ يَقُودُ الْخَيْلَ حَتَّى كَانَتْهَا صُدُورُ الْقَنَا مُعَوَّجَهَا وَقَوِيمُهَا

21- إِلَى الْحَرْبِ حَتَّى تَخْضَعَ الْحَرْبُ بَعْدَمَا تَخَمَّطَ مَرَحَاهَا وَتَحْمَى قُرُومُهَا

11- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1965، ص 136.

- 25- وَإِنَّكَ لَلْمَأْمُوكُ وَالْمُتَّقَى بِه إِذَا خِيفَ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ عَظِيمُهَا
 26- وَإِنَّكَ فِي الْأُخْرَى إِذَا هِيَ سَبَّهَتْ لَقَطَّاعُ أَقْرَانِ الْأُمُورِ صَرُومُهَا
 27- فَلَا تُطْعِمَنَّ لَحْمِي الْأَعَادِيَّ إِنَّهُ سَرِيعٌ إِلَيْكُمْ مَكْرُهَا وَنَمِيمُهَا

أعتقد أنّ الخليفة عبد الملك كان أحق بأن يسمع كلام الأخطل من أخيه وواليه على العراقيين. وكأنا بالشاعر التغلبي يتشفع ببشر ويستجير به طالبا منه التدخل والدفاع عنه وعن قبيلته عند الخليفة.

- إِنَّكَ حِصْنٌ 12

بقي بيت من قصيدة الأخطل لم أتوقف عنده حتى الآن وهو البيت الذي يقول فيه :

40- وَإِنَّكَ حِصْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنِّي بِأَسْبَابِ حَبْلِ مِنْكُمْ مَا أُزَايِلُهُ

كلمة حصن واردة أيضا في البيت 37 من قصيدة الأخطل، لكن في صيغة الجمع؛ عندما يقول الشاعر مخاطبا ممدوحه : "أبحت حصون الأعجمين". لكنها موجودة كذلك في البيت الأربعين في هذه الاستعارة التي يجعل فيها الأخطل من ممدوحه حصنا. وكما نعلم "حصن" هو اسم ممدوح زهير.

نفهم من خلال هذا البيت أبعاد المشروع الإبداعي لشاعرنا وكيف أمدته معارضته لقصيدة زهير بمعطيات وظفها لتحقيق هذا المشروع. فما كان الأخطل يصبو إليه من وراء محاكاته لقصيدة زهير

12- في كتاب باللغة الألمانية، تحت عنوان :

Thomas Bauer, *Altarabische Dichtkunst. Eine Untersuchung ihrer Struktur und Entwicklung am Beispiel der Onagerepisode*, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 1992.

[بنية الشعر العربي القديم وتطوره، قصة حمار الوحش نموذجاً]، [تطرق توماس باور لدراسته قصة حمار الوحش في شعر الأخطل (أنظر الجزء الثاني، ص 335-376).

و في إطار هذه الدراسة تناول الباحث الألماني بالتحليل قصة هذا الحيوان في قصيدة الشاعر التغلبي "صحا القلب عن أروي وأقصر باطله..." و قارنها بالقصيدة النموذج التي نظمها زهير بن أبي سلمى (أنظر الجزء الثاني، ص 353-363).

ويعرض توماس باور في دراسته لنت ممدوح الأخطل، بشر بن مروان، بكلمة "حصن"، لكنه لا يرى في هذا النعت إلا مجرد تلميح أو إشارة [Anspielung] (ص 360) إلى ممدوح زهير.

- خاتمة

لقد اقتبس الأخطل، في إطار معارضته لقصيدة زهير، معاني ومفردات وتشبيهات وعبارات عديدة لكن اقتباساته هذه لم تقده إلى درجة محاكاة نموذج محاكاة عمياء لأنه عرف كيف يسخر تقليده لزهير ويوظفه وفقا لخدمة مشروعه الإبداعي الخاص. وهكذا رأينا يصف حمار وحش عوض الفرس، ويجعل مصير حمار الوحش يختلف عن مصيره عند زهير. وأعتقد أن هذه التغييرات ترجع لظروف سياسية خاصة كانت تعيشها قبيلة الشاعر ولطبيعة العلاقة التي كانت تربط الأخطل بممدوحه.

بمعارضته لهذه القصيدة أراد الشاعر التغلبي أن يعبر عن مدى إعجابه بزهير، والبرهنة على أنه شاعر لا يقل مهارة عن نموذج بل إنه قد يتفوق عليه. ومما لا شك فيه أن محاكاة¹³ الأخطل لزهير تؤدّي، قصدًا أو عن غير قصد، بالسامع أو بالقارئ إلى إقامة مطابقة بين الشاعرين.

من جهة أخرى ما كان يصبو إليه الشاعر الأموي من وراء محاكاته هو أن يرسخ في الأذهان أن ممدوحه بشر بن مروان يوازي أو يطابق ممدوح زهير ويشاركه نفس الخصال الحميدة من كرم وشجاعة وشهامة. انظر على سبيل المثال ما قاله الشاعر عن محاربة الممدوح للخوارج (الحرورية) (البيت 35) وكذلك محاربته للأعاجم (أنظر البيتين 35 و 37). وهذه الخصال هي التي دفعت بالشاعر إلى التشبث بحبل بشر "الحصن". ولقد استمد الأخطل هذه الخصال من ذلك الخزان الذي يمثله نموذج الشعري. في الوقت نفسه تساهم قصيدته، لكونها معارضة، في تأبيد هذه الخصال وتأبيد خزانها.

المصادر والمراجع

¹³ - تقول سوزان ستيتكفيش في موضوع المحاكاة ما مفاده :
اختيرت القصيدة الجاهلية في العصر الأموي كنموذج نمطيّ لثبوت نفوذ صوت الشاعر، لأنّ الشاعر في ذلك العصر كان بحاجة إلى أن يُقاس شعره حسب معايير تحويلها قصيدة المديح الجاهلية النموذج. وتتابع قائلة إنّ اختيار الشاعر لهذه القصيدة هو الذي يجعل منها بصفة تلقائية قصيدة نموذجية. وترى ستيتكفيش أن كون قصيدة المديح الجاهلية أصبحت أنموذجاً في العصر الأموي جعل منها قاعدة نفوذ الشاعر في تلك الحقبة.
فمحاكاة النص القديم، لكونها تعبيراً عن احترام الشاعر للنموذج واعترافاً بنفوذه وإذعاناً له، تمكن من تصديق (authentication) النص الجديد.
وهكذا ينتج عن المحاكاة تصديق وإثبات مشترك بين المُقلِّد والمقلِّد.
ومن انعكاسات محاكاة قصيدة المديح في نهاية المطاف إثبات لنفوذ الشاعر وكذلك إثبات لنفوذ الممدوح.
Suzanne Pinckney Stetkevych, *The poetics of Islamic Legitimacy, Myth, Gender, and Ceremony in the Classical Arabic Ode*, Indiana University Press, Bloomington & Indianapolis, 2002, p. 81, 82 et 83.

- أبو الحسين محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، كتاب عيار الشعر، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، 1985.
- ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، طبع بالمطبعة البهية، القاهرة، في صفر 1312هـ / 1894 م.
- أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1998، (الطبعة الثالثة).
- الأخطل، "ديوان الأخطل"، تقديم وشرح كارين صادر، دار صادر، بيروت، 1999.
- الأخطل، "شعر الأخطل"، تح: الأب أنطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، 1891.
- أنور عليان أبو سويلم، الإبل في الشعر الجاهلي، دار العلوم للطباعة والنشر، 1983.
- زهير بن أبي سلمى، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة أبي العباس ثعلب، تح: حنّا نصر الحنّي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992.
- شوقي ضيف، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1965.
- وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982، الطبعة الثالثة.

مراجع باللغات الغربية :

- Thomas Bauer, *Altarabische Dichtkunst. Eine Untersuchung ihrer Struktur und Entwicklung am Beispiel der Onagerepisode*, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 1992.
- Jamal Eddine Bencheikh, *Poétique arabe, essai sur les voies d'une création*, Anthropos, Paris, 1975.
- Gérard Genette, *Palimpsestes. La littérature au second degré*, Seuil, Paris, 1982.
- Suzanne Pinckney Stetkevych, *The poetics of Islamic Legitimacy, Myth, Gender, and Ceremony in the Classical Arabic Ode*, Indiana University Press, Bloomington & Indianapolis, 2002.

قصيدة زهير بن أبي سلمى

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى
صنعة أبي العباس ثعلب
قدم له ووضع هوامشه وفهارسه حنّا نصر الحنّي
دار الكتاب العربي، بيروت، 1992، ص 113-125

نص الخبر الذي يقدم لقصيدة زهير :

«وقال، يمدح حصن بن خديفة بن بدر بن عمرو الفزاريّ.

قال حمادٌ : وكان عمرو بن هندٍ حين قُتِلَ خديفةً، وكانت الحربُ بينَ عطفانَ، طمَعَ في حصنٍ وفي عطفانَ أن يُصيبَ بهما حاجتَهُ. وكان حصنٌ والحليقانِ لم يديئوا لملكٍ قطُّ. فأرسلَ إلى حصنٍ : إني مُمدِّك بخيلى، فادخلُ في مملكتي، واجعلْ لك ناحيةً من الأرض. فأرسلَ إليه حصنٌ : ما كنتُ قطُّ أفرغَ لِحربِكَ مِنِّي الآنَ، ولا أكثرَ عُدَّةً. فإن كنتَ لا يكفيك ما جرَّبَ أبوكَ فدونك لا تعتلِلْ، فإنه ليسَ لي حصنٌ إلاّ السيفُ والرِّماحُ، وأنا لك بالفضاء. وأقبلَ حصنٌ بالحليقيينَ، أسدٍ وعطفانَ، حتّى نزلَ زبالةً فصَدَّ عنه عمرو بنُ هندٍ وكرةً قتالَهُ. فقال زهيرٌ في ذلك : [من الطويل]

1- صَحَا الْقَلْبُ عَن سَلْمَى وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ وَعَرِّيَ أَفْرَاسُ الصِّبَا وَرَوَّاجِلُهُ

2- وَأَقْصَرَ عَمَّا تَعَلَّمِينَ وَسُدِّدْتَ عَلَيَّ سِوَى قَصْدِ السَّبِيلِ مَعَادِلُهُ

3- وَقَالَ الْعَذَارَى إِنَّمَا أَنْتَ عَمَّنَا وَكَانَ الشَّبَابُ كَالْخَلِيطِ نُزَائِلُهُ

4- فَأَصْبَحَنَ مَا يَعْرِفَنَ إِلَّا خَلِيقَتِي وَإِلَّا سَوَادَ الرَّأْسِ وَالشَّيْبُ شَامِلُهُ

5- لِمَنْ طَلَّلَ كَالْوَحْيِ عَافٍ مَنَازِلُهُ عَفَا الرَّسُّ مِنْهُ فَالرُّسَيْسُ فَعَاوِلُهُ

6- فَفُفُّ فَصَارَاتُ فَأَكْنَفُ مَنَعِجُ فَشَرَقِي سَلْمَى حَوْضُهُ فَأَجَاوِلُهُ

7- فَهَضْبُ فَرْقَدٌ فَالطَّوِيُّ فَنَادِقُ فَوَادِي الْقَنَانِ حَزْنُهُ وَأَفَاكِلُهُ

8- وَغَيْثٌ مِنَ الْوَسْمِيِّ حُوٍّ تِلَاعُهُ أَجَابَتْ رَوَابِيهِ النَّجَاءَ هَوَاطِلُهُ

9- صَبَحْتُ بِمَمْسُودِ النَّوَاشِرِ سَابِحُ مُمَرِّ أَسِيلِ الْخَدِّ نَهْدٍ مَرَائِكُهُ

10- أَمِينِ شَطَاهُ لَمْ يُخَرِّقْ صِفَاؤُهُ بِمِنْقَبَةٍ وَلَمْ تُقَطِّعْ أَبَا جِلَّهُ

11- قَلِيلًا عَلَفْنَاهُ فَأَكْمَلَ صُنْعُهُ فَتَمَّ وَعَزَّتْهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ

12- إِذَا مَا عَدَوْنَا نَبْتَعِي الصَّيْدَ مَرَّةً مَتَى نَرَهُ فَإِنَّا لَا نُخَاتِلُهُ

13- فَبَيْنَا بُعِّي الْوَحْشَ جَاءَ غُلَامُنَا يَدِبُّ وَيُخْفِي شَخْصَهُ وَيُضَائِلُهُ

14- فَقَالَ شِيَاهُ رَاتِعَاتُ بَغْفَرَةٍ بِمُسْتَأْسِيدِ الْقُرْيَانِ حُوٍّ مَسَائِلُهُ

15- ثَلَاثٌ كَأَقْوَاسِ السَّرَّاءِ وَتَاشِيطُ قَدِ إِخْضَرَ مِنَ لَسِّ الْغَمِيرِ جَحَافِلُهُ

16- وَقَدْ خَرَّمَ الطَّرَادُ عَنْهُ جِحَاشَهُ

17- وَقَالَ أَمِيرِي مَا تَرَى رَأْيِي مَا تَرَى

18- فَبِتْنَا عُرَاهَ عِنْدَ رَأْسِ جَوَادِنَا

19- فَتَضْرِبُهُ حَتَّى إِطْمَأَنَّ َقْدَالُهُ

20- وَمُلْجِمُنَا مَا إِنْ يَنَّاكَ قَدَالُهُ

21- فَلَأَيَّ بِلَآئِي قَدْ حَمَلْنَا عُلَامَنَا

22- فَقُلْنَا لَهُ سَدِّدْ وَأَبْصِرْ طَرِيقَهُ

23- وَقُلْتُ تَعَلَّمْ أَنَّ لِلصَّيْدِ غِرَّةً

24- فَاتَّبَعَ أَثَارَ الشَّيَاهِ وَوَلِيدُنَا

25- نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً فَرَأَيْتُهُ

26- يُثْرِنَ الحَصَى فِي وَجْهِهِ وَهُوَ لَاحِقٌ

27- فَرَدَّ عَلَيْنَا العَيْرَ مِنْ دُونِ إِلفِهِ

28- وَرَحْنَا بِهِ يَنْضُو الحَيَادَ عَشِيَّةً

29- بِذِي مَبِيعَةٍ لَا مَوْضِعَ الرُّمْحِ مُسْلِمٌ

30- وَذِي نِعْمَةٍ تَمَّمْتُهَا وَشَكَرْتُهَا

31- دَفَعْتُ بِمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ صَائِبٍ

32- وَذِي خَطَلٍ فِي القَوْلِ يَحْسِبُ أَنَّهُ

33- عَبَاتُ لَهُ حِلْمِي وَأَكْرَمْتُ غَيْرَهُ

34- وَأَبْيَضَ قِيَاضٍ يَدَاهُ عَمَامَةٌ

35- بَكَرْتُ عَلَيْهِ عُدْوَةً فَوَجَدْتُهُ

36- يُقَدِّينَهُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَلْمَنَهُ

37- فَأَعْرَضَ عَنْهُ عَنِ كَرِيمٍ مُرَزِّئٍ

38- أَخِي ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الخَمْرُ مَالَهُ

39- تَرَاهُ إِذَا مَا جِنَّتَهُ مُتَهَلِّلًا

40- وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتَهُ

41- حُدَيْفَةُ يُنْمِيهِ وَبَدْرٌ كِلَاهُمَا

42- وَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ فِي الخُرُوبِ وَمِثْلُهُ

43- أَبِي الصِّيمِ وَالنُّعْمَانُ يَحْرِقُ نَابُهُ

44- إِذَا حَلَّ أَحْيَاءُ الأَحَالِيفِ حَوْلَهُ

45- يُهْدُ لَهُ مَا بَيْنَ رَمَلَةٍ عَالِجٍ

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسُهُ وَحَلَائِلُهُ

أَتَخْتَلُهُ عَنِ نَفْسِيهِ أَمْ نُصَاوِلُهُ

يُزَاوِلُنَا عَنِ نَفْسِيهِ وَتُزَاوِلُهُ

وَلَمْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ وَخَصَائِلُهُ

وَلَا قَدَمَاهُ الأَرْضَ إِلَّا أَنَامِلُهُ

عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكٍ ظِمَاءٍ مَفَاصِلُهُ

وَمَا هُوَ فِيهِ عَنِ وَصَاتِي شَاغِلُهُ

وَالَا تُضَيِّعُهُ فَإِنَّكَ قَاتِلُهُ

كَشُوبُوبٍ غَيْثٍ يَحْفِشُ الأَكْمَ وَابِلُهُ

عَلَى كُلِّ حَالٍ مَرَّةً هُوَ حَامِلُهُ

سِرَاعٌ تَوَالِيهِ صِيَابٌ أَوَانِلُهُ

عَلَى رَغْمِهِ يَدْمَى نَسَاهُ وَفَائِلُهُ

مُخَصَّبَةٌ أَرْسَاعُهُ وَخَوَامِلُهُ

لِبُطْءٍ وَلَا مَا خَلَفَ ذَلِكَ خَاذِلُهُ

وَخَصِمٍ يَكَادُ يَغْلِبُ الحَقَّ بَاطِلُهُ

إِذَا مَا أَضَلَّ القَائِلِينَ مَفَاصِلُهُ

مُصِيبٌ فَمَا يُلْمِمُ بِهِ فَهَوَ قَائِلُهُ

وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ وَهُوَ بَادٍ مَقَاتِلُهُ

عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُغِيبُ نَوَافِلُهُ

فُعُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَادِلُهُ

وَأَعْيَا فَمَا يَدْرِينِ أَيْنَ مَخَاتِلُهُ

جَمُوعٍ عَلَى الأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ

وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ المَالَ نَائِلُهُ

كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

بِمَالٍ وَمَا يَدْرِي بِأَنَّكَ وَاصِلُهُ

إِلَى بَادِخٍ يَعْلُو عَلَى مَنْ يُطَاوِلُهُ

لِإِنْكَارِ صِيمٍ أَوْ لِإِمْرٍ يُحَاوِلُهُ

عَلَيْهِ فَافْضِي وَالسُّيُوفُ مَعَاقِلُهُ

بِذِي لَجَبٍ أَصَوَاتُهُ وَصَوَاهِلُهُ

وَمَنْ أَهْلُهُ بِالغُورِ زَالَتْ زَلَازِلُهُ

قصيدة الأخطل

يمدح بشر بن مروان

- 1- **صَحَا الْقَلْبُ عَن أَرَوِي وَأَقْصَرَ بَاطِلُهُ** وَعَادَ لَهُ مِنْ حُبِّ أَرَوِي أَخَابِلُهُ
 2- أَجِدُّكَ مَا نَلْقَاكَ إِلَّا مَرِيضَةً
 3- **عَفَا** وَاسِطٌ **مِنْهَا** فَالْجَامُ حَامِرٌ
 4- وَقَدْ كَانَ مِنْهَا مَنَزِلًا نَسْتَلِدُهُ
 5- وَأَدَّتْ إِلَيْنَا عَهْدَهَا أُمُّ مَعْمَرٍ
 6- دَعَتْهَا نَوَى عَنَّا شُطُونٌ وَلَيْتَهَا
 7- **رَأَتْ أَنَّ رِيْعَانَ الشَّبَابِ قَدْ اِنْجَلَا** وَأَنَّ مَشِيْبِي حَاصِرْتَنِي عَوَاجِلُهُ
 8- **فَأَصْبَحْتُ كَوْفِيًّا وَأَصْبَحَ أَهْلُهَا** مَخَارِمٌ مَرِدٌ دَوْنَهُمْ وَأَبَازِلُهُ
- 9- فَسَوْفَ تُودِينَا مِنَ اللَّهِ ذِمَّةً
 10- وَمُحْتَفِرٌ جَوَزَ الْقَلَاةَ إِذَا اِنْتَحَى
 11- كَأَنِّي أَغْوِلُ الْأَرْضَ عَنِّي بِقَارِحِ
 12- **طَوِي بَطْنُهُ** طَوِيلُ السِّيَافِ وَالْحَقَّتْ
 13- رَعَا الْعَوْدُ مَاءَ الرُّوْضِ حَتَّى تَحَسَّرَتْ
 14- فَلَمَّا تَلَوَّى فِي **جَحَافِلِهِ** السَّفَا
 15- تَذَكَّرَ قَرَعَاءَ الْقُتُودِ فَلَمْ يَجِدْ
 16- وَظَلَّ كَمِثْلِ النُّصْبِ يَفْذِفُ طَرْفَهُ
 17- وَذَكَرَهَا إِذْ أَدْبَرَ الصَّيْفُ بِالنُّرَى
 18- فَرَاخَ وَرَاحَتَ يَتَّقِيهَا بِنَحْرِهِ
 19- فَطَالَ عَلَيْهِ الشَّدُّ حَتَّى كَانَتْهَا
 20- بِمُجْتَمِعِ التَّلْعَيْنِ خَوْصًا تَلْقُهَا
- 21- **إِذَا اِعْتَزَّهَا مِنْ بَطْنِ عَيْبٍ نَكَشَفَتْ** بِرِوَعَاتِهِ جِحْشَانُهُ وَحَلَائِلُهُ
 22- غَيْرُ **طَوِي طَوِي** الْمَلَاءِ **بُطُونِهَا** وَلَوْحَهَا تَشْحَاجُهُ وَصَلَاصِلُهُ
 23- بَصِيرٌ بِأَخْرَاهَا يَسُوفُ فُرُوجَهَا
 24- تُبْصِصُ مِنْهُ كُلُّ قَوْدَاءٍ مُرْتَجٍ
 25- **كَأَنَّ** اللُّوَاتِي هُنَّ مُكْتَنِفَاتُهُ
 26- ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ صَبَّحَنَ رِيَّةً
 27- فَظَلَّ يَسُوفُ النَّهْيَ حَتَّى تَمْدَرَنَّ
 28- يُغْنِيهِ بِالْقَيْضِ الْبَعُوضُ كَأَنَّهَا

- 29- وَظَلَّ بِحَيْزُومٍ يَغْلُ نُسُورَهُ
وَيَجْعَلُهَا صَوَائِدًا وَأَعَابِلُهُ
إِلَى صُلَيْهَا جَاذِي حَصَاهُ وَجَائِلُهُ
30- إِذَا مَسَّ أَطْرَافَ السَّنَابِكِ رَدَّهَا
وَرُسَعٌ أَمِينٌ لَمْ تَخُنْهُ أَبَاجِلُهُ
31- عَلَى أَنَّهُ يَكْفِيهِ صُمُّ نُسُورَهُ
- 32- وَمُسْتَقْبِلٌ لَفَحِ الْحَرُورِ بِحَاجَةٍ
إِلَيْكُمْ أبا مَرَوَانَ شَدَّتْ رَوَاجِلُهُ
33- إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَغْوَارِ حَتَّى يَزُرَّتْكُمْ
بِمَدْحَةٍ مَحْمُودٍ نَنَاهُ وَنَائِلُهُ
34- جَزَاءً وَشُكْرًا لَامِرِيٍّ مَا تُغْنِي
إِذَا جِئْتُهُ نَعْمَاؤُهُ وَقَوَاضِلُهُ
35- أَخُو الْحَرْبِ مَا يَنْفَكُ يُدْعَى لِعُصْبَةٍ
حَرُورِيَّةٍ أَوْ أَعْجَمِيٍّ يُفَاتِلُهُ
36- مُعَانٍ بِكَفْيِهِ الْأَعِنَّةُ أُشْعِلَتْ
لِكُلِّ عِدَى نِيرَانُهُ وَقَنَائِلُهُ
37- أَبْحَتَ حُصُونَ الْأَعْجَمِينَ فَأَمْسَكَتْ
بِأَبْوَابِهَا مِنْ مَنَزَلٍ أَنْتَ نَازِلُهُ
38- صَرُوبٌ عَرَاقِيبَ الْمَطِيٍّ كَأَنَّمَا
يُبَارِي جُمَادَى إِذْ شَتَا وَيُخَايِلُهُ
39- إِذَا غَابَ عَنَّا غَابَ عَنَّا فُرَاتُنَا
وَإِنْ شَهِدَ أَحَدِي فَيْضُهُ وَجَدَاوِلُهُ
40- فَإِنَّكَ حِصْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَإِنِّي
بِأَسْبَابِ حَبْلِ مِنْكُمْ مَا أُزَايِلُهُ
41- جَزَى اللَّهُ بَشْرًا عَن قَدُوفٍ بِنَفْسِهِ
عَلَى الْهَوْلِ مَا تَنَفَّكَ تُرْمَى مَقَاتِلُهُ
42- جَزَاءَ إِمْرِيٍّ أَفْضَى إِلَى اللَّهِ قَلْبُهُ
بِتَوْبَتِهِ فَإِنْجَلَّ عَنْهُ أَثَاقِلُهُ
43- فَمَا كَانَ فِيهِمْ مِثْلُهُ لِكَرْيَهَةٍ
وَلَا مُسْتَقِلٌّ بِالَّذِي هُوَ حَامِلُهُ
44- إِذَا وُزِنَ الْأَقْوَامُ لَمْ يُلَفَّ فِيهِمْ
كَيْشِرٍ وَلَا مِيزَانُ بَشَرٍ يُعَادِلُهُ
45- أَعْرَّ عَلَيْهِ النَّاجُ لَا مُتَعَبِسٌ
وَلَا وَرَقُ الدُّنْيَا عَنِ الْحَقِّ شَاغِلُهُ
46- إِذَا انْفَرَجَ الْأَبْوَابُ عَنْهُ رَأَيْتَهُ
كَصَدْرِ الْيَمَانِيِّ أَخْلَصْتَهُ صَيَاقِلُهُ
47- فَإِنْ يَلُوكُ هَذَا الدَّهْرُ أَوْدَى تَعِيمُهُ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَضُّهُ وَزَلَازِلُهُ
48- فَمَا أَنَا مِنْ حُبِّ الْحَيَاةِ بِهَارِبٍ
مِنَ الْمَوْتِ إِنْ جَاشَتْ عَلَيَّ مَسَايِلُهُ
49- فَلَا تَجْعَلَنِي يَا ابْنَ مَرَوَانَ كَامِرِيٍّ
عَلَّتْ فِي هَوَى آلِ الزُّبَيْرِ مَرَاجِلُهُ
50- يُبَايِعُ بِالْكَفِّ الَّتِي قَدْ عَرَفْتَهَا
وَفِي قَلْبِهِ نَامُوسُهُ وَغَوَائِلُهُ